

حضور التراث الشعبي في رواية: (حلم لم يكتمل) لعبد الله بن حامو

The Presence of Popular Heritage in the Novel: "An unfinished dream"

by Abdullah Ben Hamou

* مولاي أحمد داوداوة¹ / رمضان حينوني²Mouley Ahmed Daoudaoua¹ / pr. Ramdane HINOUNI²

مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست

جامعة تامنغست (الجزائر)

University of Tamanghasset (Algeria)

daoudatit@gmail.com / ramdanne@gmail.com²

تاريخ النشر: 2024/09/02

تاريخ القبول: 2024/07/22

تاريخ الإرسال: 2024/03/21

ملخص البحث

تروم هذه المقالة الوقوف على توظيف بعض العناصر التراثية في رواية "حلم لم يكتمل" لعبد الله بن حامو، وهي روايته الأولى التي يجاري فيها روائي الجنوب الجزائري المولعين باستحضار المظاهر التراثية للمجتمع الصحراوي الجزائري. وهو ما يعني رغبة السارد في تجسيد الحياة الاجتماعية في هذا الوسط. وتتلور إشكالية هذه المقالة في مدى قدرة الراوي على تجسيد الحضور التراثي للمجتمع الصحراوي الجزائري، وما إذا كان لهذا الحضور أثر في نخدم العمل الروائي. ورأينا أن نهج منهجا وصفيا معتمدين على استخراج المظاهر التراثية والتعليق عليها، بما يقرها إلى القارئ أولا، وما يكشف عن أثرها في صياغة العمل بالطريقة التي تضمن له قدرا من القبول عند التلقي. الكلمات المفتاحية: تراث شعبي؛ رواية؛ حلم لم يكتمل؛ عبد الله بن حامو.

Abstract :

This article seeks to examine the use of some traditional elements in the novel "An unfinished dream" by Abdullah Ben Hamou, which is his first novel in which he competes with southern Algerian novelists who like to evoke the traditional aspects of Algeria. Which signifies the narrator's desire to embody social life in this environment.

* داوداوة مولاي أحمد. daoudatit@gmail.com

The problem of this article is the research of the capacity of the narrator to embody the traditional presence of the Algerian Sahrawi community, and if this presence has an artistic impact in the service of the work of fiction.

We adopt a descriptive approach, relying on the extraction of traditional aspects and their commentary, so as to first bring them closer to the reader, and to reveal their impact in the formulation of the work in such a way as to guarantee it a certain degree of acceptance upon receipt.

Keywords: popular heritage; a novel; An unfinished dream; Abdullah ben Hamo.



مقدمة

انخرطت الرواية الجزائرية في خضم الحراك القرائي الذي تشهده الرواية اليوم، الأمر الذي جعل الدارسين ينتقصون تحولاتها الفنية، ورصد ما يمكن أن يغدو سمة من سماتها. ومما يلاحظ؛ أن من سمات الرواية الجزائرية المعاصرة ارتباطها بالتراث الثقافي واحتفاؤها به، ولا سيما التراث الشعبي الذي يمثل جزءا مهما من ثوابت الأمة، وصلة تربط حاضرها بماضيها.

وكثيرا ما يستثمر كتابنا اليوم ما يزرع به تراثنا في رواياتهم، لتحظى بقم دلالية وجالية، وسنتناول في هذا المقال (رواية حلم لم يكتمل)، لننظر في مدى قدرة الراوي على تجسيد الحضور التراثي للمجتمع الصحراوي الجزائري، وما إذا كان لهذا الحضور أثر في يخدم العمل الروائي.

يتضمن هذا المقال مدخلا به تعريف بالرواية وصاحبها لكونها غير معرفين في الساحة الأدبية كثيرا، ثم علاقة السرد بالتراث في الرواية الحديثة، ثم تحديد مجموعة من العناصر التراثية الحاضرة في الرواية وأبعادها القيمة والثقافية والجمالية.

أولا: عبد الله بنحامو وحلم لم يكتمل:

1- عبد الله بن حامو:

"من مواليد 5 جويلية 1988 بأولف ولاية أدرار، درس في ابتدائية عبد الكريم المغيلي بأولف، ثم انتقل إلى تامنغست أين أكمل المرحلة الابتدائية بابتدائية العقيد شابو، ثم درس بمتوسطة الشيخ التهامي، فثانوية أول نوفمبر، متحصل على شهادة البكالوريا سنة 2008، التحق بالجامعة الإفريقية أحمد دراية بأدرار، وتخرج منها

سنة 2012، تخصص: لغة وأدب عربي، متحصل على شهادة الماستر من جامعة تامنغست سنة 2016، تخصص: تعليمية اللغة العربية.

وهو ناشط جمعي، ورئيس المنتدى الثقافي فكر وفن بدار الثقافة تامنغست.. شارك في عدة ملتقيات أدبية وأماسي شعرية محلية ووطنية، كما شارك في دورة الكتابة الدرامية. "1

2- حلم لم يكتمل:

هي رواية تحكي قصة بطلها مسعود، وهو رجل أربعيني بسيط من قرية الرمال حيث يعيش وأسرته الفقيرة، يعمل بناء في قريته التي يحلم بمغادرتها ذات يوم، لكن تتحتم عليه المغادرة دون استعداد منه، بعدما قل الشغل وتآزم وضع زوجته الصحي، فيخرج مضطرا من قريته إلى قرية السبخة بحثا عن فرصة عمل، على أمل أن يوفر تكاليف علاج زوجته، ومصاريف دراسة أبنائه ورعايتهم.

يخالف الحظ مسعود، فيحصل على منصب عمل في شركة بترولية بأجر لم يكن يحلم به، فيبدأ مسعود بإرسال المال إلى أهله آخر كل شهر، لكن الأمر لم يدم طويلا، إذ خرج مسعود إلى قرية السبخة، غير منتبه إلى تحذيرات أمه من مخالطة سكان السبخة، وحتى تنبيه الدرويش (النية) لم يجد نفعا في رفع الغشاوة عن قلبه وعينيه، فتحل على مسعود لعنة هذه القرية، فيستقر بها وينسى أهله وعمله في الشركة، وينشغل بالزواج من سعاد، هذا الزواج الذي صادف ليلة وفاة زوجته الأولى فتيحة في قرية الرمال وانهيار أبنائها قهرا في غيابه.

يتعرض مسعود لحادث أثناء عمله، فيقعده الفراش لأشهر، وتسوء صحته ومعيشته كثيرا، فيقرر -في لحظة صحو- العودة إلى مسقط رأسه، فيغادر السبخة تاركا فلذة كبده مبارك، ليتفاجأ بعد عودته إلى قرية الرمال بالوضع المأساوي لأسرته، وقد فارقت زوجته وكل أبنائه الحياة، فيفارقها هو أيضا بعد عودته بقليل في غمرة الصدمة.

ثانيا: أبعاد التوظيف التراثي في الأدب:

يعد توظيف التراث الثقافي والتراث الشعبي في الأعمال الأدبية ظاهرة لافتة للانتباه، في الأزمنة الحديثة، أي منذ أن أصبح الأديب يبحث عن التميز والتجديد بعد أن ساد الأدب حالة من التقليد واجترار الطرق والتقنيات القديمة في بناء النص، أو حالة من الواقعية التصويرية التي تكنفي بنقل صور من الواقع الاجتماعي أو الواقع اليومي لحياة الناس؛ فكان أن اهتدى الكتاب والشعراء إلى وسائل تعبيرية تحقق لهم ما يرومونه من تميز يهدف- فيما يهدف- إلى ربط القارئ بالنص الأدبي ربطا يبقيه في حال تأمل وإعمال للنظر من جهة، وحال ربط للعناصر المختلفة المشكلة للنص بعضها مع بعض من أجل البحث عن المظاهر الجمالية التي تتكشف عبر التدقيق أو التلقي الإيجابي.

فتوظيف التراث في العمل السردي إذن هو " عملية تطعيم يكون التراث هو مادتها، وذلك بما يزخر به من معطيات تكتسب نوعا خاصا من القداسة في نفوس الأمة ، ونوعا من اللصوق بوجدانها، والروائي حين يتوسل الوصول إلى وجدان أمته عن طريق توظيف بعض مقومات تراثها، يكون قد توسل بأقوى الوسائل تأثيرا" ² على أن ذلك يتفاوت من روائي لآخر بحسب البيئة والتي ينتمي إليها. وسنكتفي هنا بالتركيز على أهم بعدين نرى أنهما يميزان التوظيف التراثي في الأدب عموما وفي الرواية على وجه الخصوص، وهما:

أ. البعد الاجتماعي النفسي:

معلوم أن "الثقافة الشعبية تحيا في وجدان الإنسان، وتربطه دوما بجذوره وماضيه، فتكون مصدرا لكثير من التوجيهات والسلوكات التي يجب أن تبقى مصاحبة للمجموعة البشرية التي تنتمي إليها. ونحن نرى كم يحن المرء إلى تلك الثقافة كلما وجد لذلك مناسبة، ذلك أنها جزء منه، يحن إليها ويحييها فيفرغ عبرها شحنة من الذكريات والرؤى بحسرة حيناً وبشوق حيناً آخر" ³.

لهذا يلجأ الروائي إلى توظيف التراث الشعبي في العمل الأدبي، و" هذا التراث الغزير المتباين في أشكاله وألوانه، والذي تمثله بعض الروايات الجزائرية، إنما تعكس أفكار المجتمع واتجاهاته؛ فعلى سبيل المثال، يعكس الكثير من التراث الشعبي كيفية تقدير المجتمع لدور كل من الرجل والمرأة في واقع الحياة" ⁴، وهو ما يميز الواقع الاجتماعي للإنسان في كل عصوره، وبخاصة عندما تتطور الحياة بفعل التمدن والتطور المادي. والحديث عن أثر التراث في الجماعة يعني بالضرورة تأثيره في الفرد الذي يجد نوعا من الراحة النفسية في الممارسة الثقافية التي تحقق له نوعا من تفرد الوجود، أو نوعا من الشعور بالزهو بالانتماء إلى بيئة معينة تعبر عنه ويعبر عنها، وهو الإحساس النفسي المشترك بين المبدع والقارئ على حد سواء.

ب. البعد الجمالي

يقدم " التراث الشعبي خدمات جليلة لمختلف الفنون في العالم. حيث تحولت الكثير من القصص والأغاني الشعبية إلى أعمال فنية جميلة. و أوحى التراث الشعبي أيضا بالآثار الفنية الرائعة في الأدب والموسيقى والرسم والنحت، واستخدم كثير من الشعراء والأدباء عددا من الحكايات الشعبية في أعمالهم" ⁵ ومن بين الأغراض المرجوة من ذلك نجد البعد الجمالي بما يحمله التراث من إشارات ورمزية تدعوان إلى أعمال الفكر بالقراءة العميقة الفاحصة للكشف عن الأبعاد الدلالة لتلك العناصر التراثية.

يتحول العنصر التراثي -إذن- إلى مثير ثقافي ذي حمولة فنية، تستند إلى إيجاد العلاقات بين الحاضر والغائب، بل بين مجمل الثنائيات التي يفرضها هذا التوظيف، ولا بد للقراءة هنا أن تكون قادرة على التفكير والبناء بغرض استجلاء القيمة الفنية لذلك العنصر التراثي الذي يتفاوت حجم تواجده في النص.

ثالثا: العناصر التراثية في رواية حلم لم يكتمل:

على الرغم من حداثة تجربة عبد الله بنحامو الروائية، فإن روايته الأولى عكست رغبته في أن يقتني أثر روائيين كبارا ممن عرفوا بالتوظيف الواسع للتراث من أمثال إبراهيم الكوني مثلا. وإذا كنا لا نبتغي المقارنة بين الأدبيين لتباين التجربة في الكتابة والتوظيف معا، فإن غاية ما نريده هو الوقوف على بعض أشكال التراث الموظفة في رواية حلم لم يكتمل، التي تنوعت بين الأمثال والحكم، والأشعار والأغاني الشعبية، والمعالم والأماكن التراثية، وكذا التراث اللغوي ممثلا في استعمال اللهجة العامية.

1- الأغاني الشعبية:

قد تدخل الأشعار والأغاني عالم السرد لتضفي جوا من الشاعرية أو ضربا من الإيحاءات والدلالات، فتحقق بذلك -إذا تم إحكام توظيفها- قدرا من الجمالية. و"السرد: يتبدئ عادة بوصف سفر أو انصراف أو ذهاب، وما أكثر الروايات والأفلام التي تُفتتح بمشهد طائرة تقطع أو سيارة تندفع.. هذه الحركة تنقل البطل من فضاء إلى فضاء، وتثير السؤال المعروف: ماذا سيحدث؟"⁶ ومن ذلك ما ورد في الفصل الثالث، حيث يصف الكاتب خروج مسعود من قريته متجها إلى قرية أخرى بحثا عن عمل يؤمن به مالا لعلاج زوجته المستعجل، وتوفير حاجيات بيته وأولاده، يقول السارد:

"شغل السائق جهاز الصوت... أول أغنية بعد تشغيله كانت من التراث الجميل:

يا الراجح وين مسافر تروح تعيا وتولي * شحال ندمو العباد الغافلين قبلك وقبلي

بصوت المطرب الشعبي الجزائري دحان الحراشي. تسلفت كلمات تلك الأغنية ترسو في أذن مسعود، انتبه معها يتأملها حتى وصل المغني للمقطع:

يا الغائب في بلاد الناس شحال تعيا ما تجري * بيك وعد القدرة ولا الزمان وأنت ما تدري

نزلت دموع مسعود على خده وبللت عمامته.. يمسح دموعه بعمامته البيضاء، وغطى وجهه كليا عدى القليل من عينيه حتى لا يلاحظ أحد دموعه إذا ما غلبته مرة أخرى.⁷ نلاحظ الانفعال الذي سببه هذا المقطع لمسعود، وكيف أثر بشكل عميق على نفسية بطل الرواية، الذي يتحسر على فراقه لقريته بسبب هذا الطرف الحرج، ويمني نفسه بالعودة إليها ولأهله في أقرب وقت، جعله "يحدث نفسه: (لم أكن أعلم أنه سيأتي يوم أغادر المكان الذي ولدت ونشأت فيه، ولولا الضرورة القصوى ما كنت تركتك، صحيح؛ كان لي حلم أن أسافر خارج أسوار قريتنا الصغيرة، لكن ليس في هذا الوقت والوضع بالتحديد) يمني نفسه بالألا يطيل البقاء، فله غاية محددة، أن يجمع مالا كافيا، ويعود لأهله وقريته."⁸

يبدو أن الأغنية شكلت لمسعود عاصفة عاطفية وذهنية جعلته يتساءل عما سيفعله الزمن بعائلته ريثما يعود إليهم، "كلما دارت عجالات الحافلة إلى الأمام كان مسعود يترك خلفه ذكرى، وعائلة لا يدري ما سيفعله الزمن بها"⁹، وبخاصة أن كل غياب في الذاكرة الإنسانية مقرون بالتغيير سلبا أو إيجابا.

وهنا يتبين لنا أن توظيف هذا المقطع من الأغنية كان مسهما في التمهيد للوصول إلى نفسية البطل، وطرح بعض التساؤلات في ذهنه. ويعتبر هذا الأمر من اللبئات الأساسية التي بلورت الرواية من حيث بناء الشخصيات و الأحداث، وخاصة أن هذا كان بمثابة اللبئات الأولى لانبثاق السرد و تشييد الرواية. وقد ورد مقطع آخر لأغنية تراثية ثانية في الفصل الرابع، ليطلق نفس جهاز الصوت وبنفس الحافلة ترنيمات تهرز بكلماتها كيان البطل، ولكن هذه المرة في رحلة العودة إلى قرية الرمال مسقط رأسه، حيث الأهل والأحباب، يقول السارد:

"..ضغط السائق على جهاز الصوت يقلب على موسيقى تلائم ذوقه. مسعود بجانب النافذة يحرك بصره نحو الخارج، دارت عجلات الحافلة بسرعة، تهد تهيدة كبيرة، ما أشبه اليوم بالأمس، جئت حزينا مهانا، وها أنا أعود بنفس الوضع وأسوأ، ليتني سمعت كلامك يا أمي، يا ليتني فهمت قولك يا أبي، فلا أمنت المال ولا وفيت بعهدي في العودة في أقرب وقت، والآن أنا أرجع تاركا خلفي فلذة كبدي أيضا بحاجة لرعاية، وأبا يحمية. لحظتها كان السائق قد توقف عن البحث وزاد من حدة الصوت، كانت الأغنية لأحد الفنانين المحليين مطلعها:

راضين بأحكام الحاكم * ما فعل فاعل مفعول

راضين بالقضاء نازل * الله يهدي لقلوب

يا زماني الأول * يا ما درى تولى ليا

انحنى مسعود برأسه على حافة الكرسي، و حلقت كلمات هذه الأغنية به في حلم كئيب كثرت فيه التساؤلات و الحسرة على حاله، نام على إيقاعها وألحانها العذبة.¹⁰ وبالنظر إلى حال مسعود وخيبة أمله الكبيرة وندمه الشديد؛ فكأن حكمة ما أرادت أن تخفف عنه ولو قليلا، وكان الأغنية تحته على الرضا بالقضاء، فهو السبيل إلى التثام الجروح الغائرة في قلبه، وفي الوقت ذاته تعبر عما في ذاته من حسرة، جراء خذلانه لنفسه وأهله.

وبهذا تتبين جزئا مهما من المعطى الجمالي والشحنات الدلالية والعاطفية التي أضفاها هذا المقطع الغنائي، والذي ساعد الكاتب بطريقة ما ليسير بأحداث روايته حيث يشتهي إلهامه.

وعموما، لقد كان توظيف المقطعين الغنائيين في الرواية بقاء في عملية السرد، وقد يصل الأمر إلى حد الاعتماد عليها، إذ ابتداء السرد بخروج مسعود من قريته ويرافق انطلاقته المقطع الأول، وينتهي بعودته إليها، ويرافق انطلاقته المقطع الثاني. ناهيك عما أشرنا إليه سابقا من تداعيات أثرت بشكل كبير على بناء شخصية البطل وأحداث الرواية، وما يمكن أن توحى به من تهيؤات للمتلقى، الذي يستشرف الأحداث.

2- الأمثال والحكم الشعبية:

يعد المثل الشعبي من أكثر الأشكال التعبيرية الشعبية حضورا في أحاديث الناس، فلا غرابة إذن من وجوده في كثير من الأعمال الأدبية الحديثة التي منها الرواية؛ ذلك أن المثل " رسالة تحمل أبعادا دلالية غاية في

المثالية، وبالتالي أسهم في تكتل الأفراد حتى غدا المثل دستوراً منظماً للناس في حياتهم، وقد نجد من هذه الأمثال ما هو تقريرى مباشر، وما هو رمزى إيجائى¹¹ وإن كانت الإيجائية غالبية عليه بحكم الاختلاف الذي يكون بين مورده ومضربه، أي بين القصة التي أنتجت المثل والحادثة المستجدة. وعلى الرغم من التداخل والتشابه بين المثل والحكمة في اللغة الشعبية، إلا أن الدور الذي يؤديه كل منهما واحد إلى حد بعيد، وفي هذا النص تحضر بعض الأمثال والحكم الشعبية منها المثل: ((يا سعد اللي بغيناها)) ومعناه: يا سعد من أحببناه.

في الفصل الأول من الرواية، يقول السارد: "يبدأ مسعود في تناول الحساء الذي تعدّه أمه، لحظتها تخرج أخته (خدّوج) من المطبخ ودون أن تلقي التحية على أخيها: ((يا سعد اللي بغيناها))، عجبا كل أم وأولادها متزوجين ومع ذلك تترك لهم نصيباً من كل شيء في حين أنهم لا يحضرون لها ولو القليل من طعامهم. مسعود: صبحنا على ربي، أي ما هي طامعة في طياب زوجاتنا، فلو تناولت منه لقمة لأصاها التسمم بعيد الشر عليها. ومتى تتعلمين الاحترام والتعامل بلطف. أنت لا تتعلمين الدرس، لسانك وطريقتك هاته كانت السبب الأول في طلاقك بالرغم من أن زوجك يعد من أفضل رجال القرية خلقاً وأدباً".¹² في هذا المقطع؛ تفتتح خدوج حوارها مع مسعود بمثل شعبي، وهذا ما جعل دخولها للمشاركة في حوار العائلة قويا ولافتا للانتباه، لدرجة أن مسعود انزعج منها ومن لسانها السليط. فيبدو أن هذا المثل كان مثيراً لانفعال بطل الرواية مسعود، إذ أثار حفيظته، كما يبدو من ردة فعله، لينهال على أخته بالتوبيخ واللوم. وفي هذا الفصل أيضاً؛ يذكر السارد مثلاً آخر من الأمثال الشعبية على لسان مسعود: "((مسعود) لازال ملتصقاً بفراشه المحلي الصنع ((دنفاسة)) في حرب مع نفسه، يمقت صوت المؤن وكلما سمعه دعا عليه بأسوأ من ذلك، فمرة رجا له السقوط في حفرة ومرة المرض أخرى يطلب من ملك الموت أن يخلصه منه يحدث نفسه:

-ماذا تبقى لعجوز خرف من حياة في هاته الدنيا. ((إلي أفضى وقتو ما يطعم في وقت الناس))"¹³ إذن؛ المثل أطلقه مسعود وهو يحدث نفسه عن (أبا بوجمعة) والذي لطالما تدمر من صوته الخشن كلما أذن فجراً، بعد أن انهالت دعوات مسعود عليه، ليصل الأمر بهذا الأخير أن يتمنى له الموت، ليختم دعواته بضرب المثل.

والملاحظ لهذا المثل يرى أنه ورد بغير لفظه، لكن فحواه ظل كما هو، ولفظه: " ((اللي كال حقه يغمض عينيه)) .. وهذه المقولة تقال للذي لا يؤمن بدوران عجلة الزمن.. ويضرب هذا المثل في الحث على القناعة عموماً"¹⁴

فبالنسبة لمسعود فإن المؤذن (أبا بوجمعة) قد قضى وقته في أداء الأذان بعد أن هرم واخشوشن صوته.. يقول السارد: "فالعلم (أبا بوجمعة) عرف بطبعه الحاد وسرعة الغضب كما يصر على أن يؤذن كل الصلوات ويشرف لوحده بشؤون المسجد، ولكبره أعطاه ورقة رابحة وجعل الكل صابر عليه ويواسونه"¹⁵.

وما يثير حفيظة مسعود، تجاه (أبا بوجمعة) هو رفضه التنازل عن رفع الأذان للمؤذن المعتمد صاحب الصوت الحسن، بسبب تعنته. فـ "مسعود يعتبر من النوع الأول إلي يسمع النداء من أول كلمة تعلو منه إلا أنه لا يلبيه ويظل ملتصقا بفراشه، لا لشيء إلا لأن ما أيقظه ليس أذان الفجر أو طمعه في نيل الأجر النعيم، بل هو صوت المؤذن الذي لا يستسيغه أو يحفره في النهوض فصوته خشن وعالي بالرغم من شكاوى السكان لإمام المسجد بتغيير المؤذن وتوفر من هو معتمد وحسن الصوت"¹⁶.

وهنا كان استدعاء المثل على لسان مسعود؛ على سبيل ترويح عن نفسه، وتنفيسه عن غضبه وتعبيرا عن امتناعه. كما أنه تعطينا صورة عن موقف مسعود من شخصية (أبا بوجمعة) على أنه؛ لم يعترف بشيخوخته التي ذهبت بنقاء صوته، وأنه؛ عليه أن يقنع بما قدمه وقت شبابه. فهذا المثل يعبر مسعود عن رفضه وعجزه أمام استقرار (أبا بوجمعة) برفع الأذان، رغم طلب السكان بتكليف المؤن المعتمد، إلا أن كبر أبا بوجمعة في السن كان ورقته الراجحة التي جعلت الكل يصبر عليه ويواسيه، وهذا ما جعل مسعود يقف موقفا حادا تجاه أبا بوجمعة، لأنه أجبر على كتم رأيه في ظل سيطرة الورقة الراجحة.

تنخرط الحكم الشعبية في طيات هذه الرواية لتعزز الحضور التراثي فيها، فمن الحكم الواردة في المتن؛ نجد في الفصل الثالث حكمة شعرية من رباعيات عبد الرحمن المجذوب، والتي وردت موجهة إلى مسعود من قبل الدرويش (النية). يقول السارد: "غادر السعيد وموسى بحزن شديد على الحالة التي آل لها زميلها، أما مسعود نادت عليه زوجته، وقبل أن يدخل يعود الدرويش (النية) ودون أن ينظر له:

الجديد عنده بنة والقديم لا تفرط فيه.

أخيرا استوقفه: ما قصتك يا (النية) ماذا بيني وبينك؟

- لا يعجبك نوار الدفلة** في الواد دايرة ظلايل

لا يعجبك زين الطفلة** حتى تشوف لفاعيل.

- والله إن بين سطور كلامك ما يدعو للتأمل والتفكير، ولا يكاد يخلو من الحكم والألغاز.

غادر (النية) وترك مسعود يتخبط في فك ألغاز كلامه.¹⁷

هذه الحكمة تلقاها مسعود من مصدر غير متوقع، فهو شخص لا يعرفه، ولم يحاوره، بل إنه درويش يُعتقد غالبا أنه مجنون وغائب عن الوعي الدقيق لما يجري حوله، وهذا ما جعل مسعود يستمع إلى كلامه على اعتبار ما وراء السطور، وأنه ليس مصدر التنبيه المباشر. فيحтар مسعود في كلامه متأملا إياه. وبالتالي؛ فلجأه أثر ممتد، لا ينتهي عند لحظة إلقائها، بل يستمر عملها في ذهن مسعود كلما تذكرها وأسعفه حاله كي يتأمل فيها،

ليس هذا فحسب؛ بل إن الدرويش (النية) وحكمه وألغازه سيلاحقان مسعود في مواقف لاحقة من أحداث الرواية أثناء مكوثه في قرية السبخة، ثم إن هذه الشخصية الغامضة لهذا الدرويش تضيء جوا من العجائية في الرواية من خلال ظهورها أمام مسعود وحضورها بشكل متكرر ومؤثر في مواقفه، ولها أيضا رمزية التزامها قوس مدخل القرية حيث رأى مسعود (النية) أول مرة وتلقى من حكمه عند دخوله لها، ووجده أيضا عند مغادرته النهائية للقرية ونهل من حكمه ونصائحه. ثم قصة اللعنة التي أشار إليها في آخر لقاء له بمسعود، وربما أرقته.

3- المعجم العامي:

إضافة إلى الأشعار والأغاني والأمثال والحكم فقد استدعى عبد الله بن حامو علامات تراثية أخرى إلى متن روايته، منها بعض المفردات العامية والأماكن والمعالم الأثرية نوضحها في هذين الجدولين:

الأشعار والأغاني	التراث اللغوي للهجة العامية	الأماكن والمعالم التراثية
	الغيبة ص 10	الساقية
يا الراجح وين مسافر تروع تعيا وتولي شحال ندمو لعباد الغافلين قبلك وقبلي	السفوف: التمر اليايس المكسر، يحضر بطريقة احترافية وتقليدية. ص 111 المهراز أو المهراس: هو أداة خشبية تستعمل لتهريس التمر الجاف. ص 111	مسجد طيني، كل شيء عتيق فيه، نرتة، جدران، سقفه المكون من خشب النخيل وكرنافه، وُضعوا بتناسق متقن، وحتى الفراش من الرمال الذهبية التي تجلب من العروق الشاهقة.
يا الغايب في بلاد الناس شحال تعيا ما تجري بيك وعد القدرة ولا الزمان و انت ما تدري ص 90/89	نبركش: تقوم بقتل الكسكسي ص 148 الحبز الرقيق أو الرقاقي: وهو الثريد. ص 152 أقربيش: المدرسة القرآنية. ص 222.	ص 11.
راضيين باحكام الحاكم ما فعل فاعل مفعول	الحماس: هو الذي يعمل في بستان أو أرض ليست ملكا له، و يحصل على نسبة الخمس من المنتوج، و الباقي لمن يملك البستان. ص 14	
راضيين بالقضا نازل الله يهتي لقلوب	الصبايم: تعد الصبايم في الموروث الثقافي الشفوي، و في أعراف التوزيع الفلكي للمنازل الفلاحية: أسخن فترة في السنة، و بحراتها الاستثنائية تشمل أربعة منازل من منازل السنة الفلاحية (الطرف، الجبهة، الخرثان، الصرفة) ص 71	
يا زماي الاول يا ما درى تولي ليا ص 210/209	النوبة: تسمى بضربة النوبة، عبارة عن تقاسيم، كتمهيد للانطلاق في الحفل، ولها إيقاع خاص ومميز. ص 68	

الأساطير	أدوات تراثية	الأمثال والحكم
تنيسم: أسطورة خرافية..ص242	القلال: آلة إيقاعية. ص 68	"يا سعد اللي بغيناه. " : يا فرحة وحظ من نخبه. ص30
	بخور أم الناس: عشبة طبيعية يتم تبخيرها، والسائد في العرف أنها تبعد العين والحسد وترفع البأس. ص240	لمحبة عندها ناسها * وناس لمحبة كبار وكل حاجة عندها ساسها* لي تبني بيها الدار النية تشرب كاسها* وكاس الغدرة نار. ص 141/140
		"يا سعد اللي بغيناه. " : يا فرحة وحظ من نخبه. ص30
		ناس نساو كيفاش كانوا* وناس في وقت الشدة ما بانو وناس واش رجحو كي خانو. ص170 خالط الورد تدير يحتو* وخالط لفحم تدي كحوليتو
		الجديد عندو بنة، ولقديم لا تفرط فيه. ص175 لا يعجبك نوار النفلة* في الواد دايرة ظلايل لا يعجبك زين الطفلة* حتى تشوف لفاعيل. ص175

فهذان الجدولان يوضحان الأهمية التي أولاها الروائي لمجموعة من العناصر التراثية، وقد ساعده في ذلك اختياره لبيئة شعبية بسيطة، أين نجد الممارسات الثقافية الشعبية حاضرة في كل وقت وحين ومناسبة، إضافة إلى رغبة الكاتب في الحفاظ على تلك الرابطة بين حاضر متعثر وماض ينظر إليه في أغلب الأحيان على أنه جميل ومثالي بحكم إنتاجه لكل هذه العناصر الثقافية التي تتغنى بها ونوظفها كمظهر فني ومعنوي.

خاتمة:

- إن التجربة الروائية الفنية للكاتب عبد الله بن حامو، لم تمنعه من الالتكاء على مجموعة من العناصر التراثية التي استقاها من بيئته الصحراوية، أسهمت في تقريب العمل الروائي من القارئ المحلي، وإذا كان هناك من بساطة في توظيفها فللسبب ذاته، ونخرج في آخر هذه الورقة بالنتائج الآتية:
- لا يبدو أن توظيف بعض العناصر التراثية في الرواية كان متكلفا، فقد وفق الكاتب في الربط الطبيعي بين الحدث وبين العنصر التراثي، ما أعطى النص قوة دلالية.
 - بالرغم من أن العناصر التراثية كثيرة ومتعددة، فقد اختار الكاتب منها ما هو شائع في البيئة التي أطرت عمله، وما يخدم سيرورة الأحداث.
 - أسهمت العناصر التراثية المعتمدة في تقوية الجانب الرمزي من حياة الناس، إذ تعمل على الجمع بين غائب وحاضر بغية تثبيت المعنى تحقيق المتعة الفنية المبنية أساسا على العمليات الذهنية التي تولدها القراءة الواعية الهادفة إلى إدراك العلاقات بين الأشياء، وما يتولد عنها من قيم فنية ودلالية.

هوامش:

- 1 عبد الله بن حامو . حلم لم يكتمل، 2021، بياض للنشر والتوزيع، عين الدفلى-الجزائر، ط1، ص250.
- 2 وردة معلم. استدعاء التراث في رواية " نزيف الحجر لإبراهيم الكوني.(2015) ضمن كتاب (المتخيل الصحراوي في الرواية العربية. منشورات مخبر الأدب العام والمقارن. جامعة عنابة. ص 170.
- 3 رمضان حينوني. أوراق ثقافية من أقصى الجنوب الجزائري. 2019. ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر. ص 87.
- 4 سليمان قوراري . مباحث في الرواية الجزائرية، 2016، دار الكتاب العربي، ب ط، ص 240-241.
- 5 المرجع نفسه، ص 241-242.
- 6 عبد الفتاح كيليطو. الأدب والغربة دراسات بنيوية في الأدب العربي، 2011، دار توبقال للنشر، المغرب، ط8، ص 11.
- 7 عبد الله بن حامو. حلم لم يكتمل، ص 90/89.
- 8 المصدر نفسه، ص 91/90.
- 9 المصدر نفسه، ص 91.
- 10 المصدر نفسه، ص 210/209.

- ¹¹ عبد القادر بن سالم. التراث الشعبي بمنطقة العبادلة. (2022) دار خيال للنشر والترجمة- برج بوعريش../ الجزائر. ص 33
- ¹² المصدر نفسه ، ص 31/30.
- ¹³ المصدر نفسه ، ص 13
- ¹⁴ مبارك قومي. المنتقى، دار ابن الشاطئ - الجزائر ، ص 39.
- ¹⁵ عبد الله بن حامو . حلم لم يكتمل، المصدر السابق، ص 30
- ¹⁶ المصدر نفسه ، ص 12
- ¹⁷ المصدر نفسه ، ص 175.

قائمة المراجع:

- رمضان حينوني. أوراق ثقافية من أقصى الجنوب الجزائري. 2019. ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر.
- سليمان قوراري . مباحث في الرواية الجزائرية، 2016، دار الكتاب العربي، ب ط.
- عبد الفتاح كيلطو. الأدب والغربة دراسات بنيوية في الأدب العربي، 2011، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 8
- عبد القادر بن سالم. التراث الشعبي بمنطقة العبادلة. (2022) دار خيال للنشر والترجمة- برج بوعريش../ الجزائر
- عبد الله بن حامو . حلم لم يكتمل، 2021، بياض للنشر والتوزيع، عين الدفلى-الجزائر، ط 1.
- مبارك قومي. المنتقى، دار ابن الشاطئ - الجزائر
- وردة معلم. استدعاء التراث في رواية" نزيل الحجر لإبراهيم الكوني.(2015) ضمن كتاب (المتخيل الصحراوي في الرواية العربية. منشورات مخبر الأدب العام والمقارن. جامعة عنابة.